

## ملخص

تغيرت نظرة الخليفة عثمان بن عفان ؓ لمؤسسة الخلافة ودورها عن نظرة سابقه أبي بكر ؓ وعمر ؓ، فبعدما كان هذان الأخيران ينظران إلى نفسيهما على أنهما خلفاء للنبي ﷺ في تولي شؤون المسلمين، أصبح عثمان بن عفان ؓ ينظر إلى نفسه أنه خليفة لله في أرضه وعلى عبادته، أي أنه يحكم بتفويض من الله، كما أنه عمل على جعل الخلافة مؤسسة سُلطوية مستقلة بذاتها عن منظومة الأعراف القبلية للمشايخ والرئاسة، وأسمى من الشرعية التاريخية للصحابة. وقد اتخذ عثمان ؓ في سبيل تحقيق مشروعه هذا عدة إجراءات، تمثلت في رفع البيت الأموي إلى الواجهة السياسية للدولة عن طريق تخصيصه بالولايات والأعمال، والعمل على ترسيخ المراكز السياسية والمالية لأهل السابقة في الأمصار المفتوحة للحد من نفوذ القبائل فيها. إن الفلسفة السياسية للخليفة عثمان ؓ والتي جعلت منه خليفة لله في أرضه، ونظرته للمال أنه مَالٌ لله يفعل فيه ما يشاء، قد أدت إلى خلق فجوة بينه وبين الصحابة وجمهور القبائل، خاصة في الأمصار، والذين رأوا في سياسته هذه نزوعاً نحو الملكية الأسرية، وسيطلقون عقيرتهم بالطعن على عثمان ؓ وولاته، وسينتج عن ذلك صدام تناحري بين الخليفة ومعارضيه من القبائل فيما عرف بـ «الفتنة»، والتي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان ؓ سنة ٣٥هـ/٦٥٥م.

## مقدمة

مع وفاة الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ؓ سوف تنهار سياسة الضبط والشدّة التي اعتمدها، والتي دفعته إلى محاسبة عماله محاسبة مالية دقيقة،<sup>(١)</sup> كما حَجَرَ على صحابة الرسول ﷺ ومنعهم الخروج والانسياح في الأمصار، فقال: "إني آخذ بحلّاقيم قريش على أفواه هذه الحرة، لا تخرجوا فتسللوا بالناس يميناً وشمالاً".<sup>(٢)</sup> وكانت مرجعيته في سياسته هذه أن الأمة تتكون من جماعة من المتساوين، الذين لا فوارق بينهم إلا السابقة في الإسلام، ولا سلطان عليهم إلا سلطان الله، وإمامهم فرد منهم، وهو نموذج في حُسْن القيام على مصالحهم، أما الإمارة فهي في رأيه ليست سيادة ومُلك، وإنما هي استمرارية لتلك المدرسة التي أرساها الرسول ﷺ، وتابعه عليها خليفته أبابكر ؓ.<sup>(٣)</sup>

وقد فرضت الظروف التي ترك عليها عمر بن الخطاب ؓ أمة محمد ﷺ أن لا تكون مبايعة الخليفة الجديد مسألة اختيار بين شخصيات فحسب، بل إن المرشحين الستة أعضاء الشورى، كانوا من كبار وجوه قريش، ومن أئمة المسلمين، ومن كبار الصحابة، ومن أشرف وأخبر أهل الفضل والسابقة والقدم في الإسلام.<sup>(٤)</sup> ثم هُمّ الذين توفي الرسول ﷺ وهو راض عنهم، إذن فاختيار الخليفة الجديد سيكون من قِبَل الصحابة، ومن قِبَل المهاجرين المكين على وجه التحديد.

إن رغبة قريش في التخلص من سياسة عمر ؓ المتشددة إزاءها سوف تدفعها إلى الضغط من أجل الحؤول دون وصول عمر ثانياً



## المشروع السياسي للخليفة عثمان بن عفان ومعارضات الصحابة والقراء

## فريد فوغالية

ماجستير التاريخ الإسلامي "التاريخ الوسيط"  
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية  
قسنطينة - جمهورية الجزائرية



## الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

فريد فوغالية، المشروع السياسي للخليفة عثمان بن عفان ومعارضات الصحابة والقراء- دورية كان التاريخية- العدد السابع عشر: سبتمبر ٢٠١٢. ص ٩٨ - ١٠٥.

www.kanhistorique.org

ISSN: 2090 - 0449

خمس أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ - ٢٠١٢

## نظور الخلافة لنصبح مؤسسة مستقلة بذاتها

إن الخلافة في نظر الخليفة عثمان عليه السلام هي تكليف من الله عز وجل، واختيار منه لقيادة أمة محمد عليه السلام، إنها كرامة خصه الله بها دون سائر عباداه، وبما أنه لم يُخْدِث في أيامه ما يُثير سخط الله وما يُعارض القرآن وسنة النبي فإنه ليس من حق أي أحد أن يطلب منه اعتزال هذا الأمر طوعاً أو كرهاً<sup>(١٦)</sup>، لذلك خاطب الثوار المحاصرين لداره: "أما أن أتبرأ من الإمارة، فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته"<sup>(١٧)</sup>. يتضح من رواية للطبري لحوار دار بين عثمان عليه السلام ومُحاصريه نظرة كل طرف لمنصب الخلافة وشروط التولية والعزل، قال عثمان: "...أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قَمَصَنيهِ الله عز وجل، وأكرمني به، وَخَصَّني به على غيري، ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عَابَهُ المسلمون... قالوا: ...كيف نقبل توبتك وقد بَلَونا منك أنك لا تعطي من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه، فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك..."<sup>(١٨)</sup>.

إذن ما يستطيع عثمان عليه السلام أن يمنحه لمعارضيه هو التوبة عما يقول المسلمون أنه أَخْدَثُهُ في خلافته، التوبة عما يثير سخطهم، إنه لا يعترف بحق الرعية في عزل خليفته الذي يحكم بتفويض من الله، بأمور أنكرها هم عليه، وليست هي من سخط الله في شيء، هنا يحتدم الصراع بين منطق القبيلة ومنطق الدولة، منطق القبيلة في عزل الشيخ أو الرئيس إذا "غَيَّرَ وَبَدَّل"، واستبداله برئيس آخر يرضون عنه، ويكون من اختيارهم، أما منطق الدولة لدى الخليفة عثمان عليه السلام فيرى أن الخلافة أعلى وأسمى مما يظنه هؤلاء، لذلك فهو يرفض أي نقاش أو مساومة حول صلاحيات منصبه، الذي هو خلافة لله عز وجل في أرضه وعلى عباداه، وأمر منه لا يحل له التبرأ منه أو اعتزاله<sup>(١٩)</sup>، وهذا هو جوهر خلافة عثمان عليه السلام. فالخطة السياسية الجديدة التي اتبعها الخليفة عثمان بن عفان تقوم على أخذ المبادرة وعدم تركها بيد رجال القبائل في الأمصار المفتوحة، والاكتماء بمنح اعترافه الرسمي بقراراتهم<sup>(٢٠)</sup>، إنه يؤكد على حق الخليفة في الاستفراد والاستقلال في البت في شؤون الأمة ومصالحها، كان السؤال التزاعي الأساسي هو: مَنْ عليه أن يَتَّبِعَ من، الخليفة القبائل، أم القبائل الخليفة؟ كان موقف عثمان عليه السلام النظري والعملي واضحاً لا التباس فيه، كان يرى أنه ليس من حق الرؤساء القبليين التدخل في شؤون الخلافة طالما أن أجروهم على فتوحاتهم يصلهم دون نقصان<sup>(٢١)</sup>.

إن عثمان عليه السلام وفي سبيل تحقيق سياسته، ويهدف التأكيد على أنه صاحب القرار فيما يخص الشؤون والمصالح العامة للدولة، سوف يلجأ إلى وسائل أكثر حِدَّةً وَتَطَرُفاً، تجعل من ممارسات القمع والقهر تتطور تدريجياً لتصبح "كجزء عضوي من عمل ووظيفة الطاقم الإداري للأمة"<sup>(٢٢)</sup> لما اجتمع الخليفة بولاته وشاورهم فيما يصنع بعد أن كثرت أراجيف الناس بهم، كان قراره أن "...أمرهم بالتضييق على من قَبِلَهُم، وأمرهم بِتَجْمِيرِ الناس في البعوث، وعزم

لحكم المسلمين، لهذا سيكون عثمان بن عفان عليه السلام الشخصية التوافقية التي سيؤول إليها أمر أمة محمد عليه السلام، لأنه "...أحب إلى قريش من عمر"<sup>(٢٣)</sup>، وكان الشرط في توليته هو السَّير "...بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر"<sup>(٢٤)</sup> وهو ما وافق عليه، وسيكون القرآن، وسنة النبي عليه السلام، وسيرة الخلفيتين الأولين، هي المرجعية التي سيحتكم إليها كل من الخليفة عثمان عليه السلام، وكل الذين عارضوا سياسته، وحاصروا دار إمارته وقتلوه سنة ٣٥هـ/٦٥٥م.

## فما هي السياسة التي اتبعها عثمان عليه السلام في خلافته؟

إن الهدف النهائي لسياسة الخليفة عثمان بن عفان عليه السلام هو رفع مؤسسة الخلافة وجعلها مؤسسة مستقلة بذاتها عن المنظومة العرفية القبلية واعتباراتها<sup>(٢٥)</sup>، وتعتبر السياسة المالية من أهم الجوانب في السياسة الجديدة التي اتبعها عثمان عليه السلام، وهي التي جعلت للخليفة الحق في التصرف في بيت المال، وتخصيص أهل بيته بالمنح، باعتبار أن هذا المال هو "مال الله" والخليفة هو "خليفة الله" على أرضه وعلى عباداه.

ترد في المصادر إشارات عديدة لسخاء عثمان عليه السلام وإنفاقه من بيت المال على أقاربه وأهل بيته، فقد منح مروان بن الحكم خمس غنائم أفريقية سنة ٢٧هـ/٦٤٨م،<sup>(٢٦)</sup> ولما زَوَّج ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد أمر له بستمئة ألف درهم، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها له من بيت مال البصرة،<sup>(٢٧)</sup> كما وهب إبل الصدقة للحارث بن الحكم بن أبي العاص،<sup>(٢٨)</sup> ولما أتى الحكم بن أبي العاص بصداقات قضاة - وكان قد ولاه جبايتها- البالغة ثلاثمئة ألف درهم وهبها له عثمان،<sup>(٢٩)</sup> كما حَلَّى بعض أهل بيته من حلي محفوظة في بيت المال.<sup>(٣٠)</sup> من هنا تتضح نظرة الخليفة لأموال الفيء، فعثمان لم يكن يرى في نفسه إماماً للمسلمين فحسب، بل كان ينظر إلى نفسه أنه خليفة لله في أرضه وعلى عباداه، لأن الخلافة قميص قَمَصَهُ الله أيها،<sup>(٣١)</sup> وبما أن تسيير الشؤون السياسية والإدارية للدولة كان بيده، فإن ذلك يمنحه حرية التصرف في تلك الأموال كيف يشاء.

لم تكن سياسته هذه لتمر دون معارضة الصحابة الذين رأوا فيها خروجاً عن سنة أبي بكر وعمر اللذين مَنَعَا أَنْفُسَهُمَا وأهلهمها هذه الأموال.<sup>(٣٢)</sup> ويتضح من رواية للبلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) اختلاف نظرة عثمان عليه السلام لأموال الفيء وليبيت المال عموماً ونظرة الصحابة، ذلك أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود خازن بيت مال الكوفة، أقرض الوليد بن عقبة عاملها من بيت المال، ثم اقتضاه أياد، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان عليه السلام، الذي كتب إلى ابن مسعود: "إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أَظُنُّني خازناً للمسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك".<sup>(٣٣)</sup> فالخليفة إذاً يجعل من بيت مال المسلمين بيت مال خاص به يتصرف فيه كما يشاء.

الصحابية التي حملت نظام ديوان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وساهمت في صياغته وتطبيقه، فاستبدال الأشخاص كان نتيجة لتبدل المواقف، خاصة أن عثمان رضي الله عنه كان يرى أن التولية والعزل من صميم اختصاصاته كخليفة للمسلمين وليس من حق أي شخص مهما بلغ مركزه وعظم بلاءه في الإسلام التدخل فيها،<sup>(٣٥)</sup> لذلك نراه لايتوانى في التنكيل ببعض كبار الصحابة الذين عارضوا سياسته.

### الكوفة: العودة إلى النثرانية والهرمية

بعد عزل الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة (٣٠هـ/٦٥١م) - وهو ناتج أساساً عن رفض الكوفيين لسلوكه الشخصي المستهتر بضوابط الشرع- ولأها خليفة عثمان بن عفان سعيد بن العاص، الذي بمجرد وصوله قام بحركة رمزية تمثلت بغسل المنبر قائلاً: "إن الوليد كان نجساً رجساً"،<sup>(٣٦)</sup> ثم إنه عمل على الاستعلام عن أحوال الكوفة وأهلها، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه بهذا التقرير: "إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم، والبيوتات والسابقة والقدمة، والغالب على تلك البلاد زوآد رفدت، وأعراب لحقت، حتى مائتظر إلى ذي شرف وبلاء من نازلتها ولانابتها".<sup>(٣٧)</sup> يتضح من خلال هذا النص أن الكوفة كانت تعيش في هذه الفترة - نهاية ولاية الوليد بن عقبة وبداية ولاية سعيد بن العاص- حالة من الاضطراب والفوضى، وعدم الانتظام، غداها وساهم في زيادة حدتها طبيعة نازلتها الذين ليس لهم عه بالاستقرار والتحضر، ولم تتأدب نفوسهم بأداب الإسلام، إذ كانوا - كما يقول ابن خلدون:- "جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا هذبهم سيرته وآدابه، ولا ارتاضوا بخلقه، مع ماكان فيهم في الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينه الإيمان".<sup>(٣٨)</sup> كما يمكن إرجاع حالة الفوضى هذه إلى سياسة الوليد "الشعبوية"<sup>(٣٩)</sup> والتي قد تكون لعبت دوراً مهماً في تراجع دور أهل الشرف والسابقة أمام جموع القبائل البدوية الوافدة حديثاً.

لقد غرق أهل البيوتات والشرف والسابقة من فاتحي تلك البلاد -عددياً- في وسط بحر من القبائل البدوية غير المنظمة، وعجزوا عن تأطير هذه الروادف واللواحق التي كانت خارج نفوذهم، لأهم كانوا منسبيين، وشبه مهينين عليهم من قبل السواد الأعظم الذي لم يكن يستند إلى المبدأ القبلي حتى ينقاد للأشراف، ولا إلى المبدأ الإسلامي القائم على مبدأ الجهاد.<sup>(٤٠)</sup> إن السياسة التي أمر عثمان واليه باتباعها في الكوفة هي رفع أهل السابقة والقدم في الإسلام، أي العودة إلى المبدأ الإسلامي الذي سنّه الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه والقائم على مبدأ "إنزال الناس منازلهم"، لقد أمره بـ "ففضّل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تناقلوا عن الحق".<sup>(٤١)</sup> هذا ما سبّغته سعيد بن العاص الذي عمل على إحاطة نفسه بوجوه أهل الكوفة وأشرافها، إذ تذكر الروايات أنه كان "لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية"،<sup>(٤٢)</sup> كما أدخل معهم قراء أهل الكوفة،<sup>(٤٣)</sup> والملاحظ أن هؤلاء القراء هم

على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه".<sup>(٣٣)</sup> ولن يكتفي عثمان رضي الله عنه بذلك بل إن إجراءاته التعسفية سوف تطال بعضاً من كبار الصحابة الذين عارضوا سياسته، فقد نفى أبازر الغفاري إلى الرّيدة<sup>(٣٤)</sup>، كما ضرب عمار بن ياسر حتى غشي عليه عندما عارض سياسة عثمان رضي الله عنه في منح أهل بيته العطايا من بيت المال<sup>(٣٥)</sup>، وعمل على نفيه هو الآخر ما أثار استنكار الصحابة<sup>(٣٦)</sup>. وهكذا فإن عثمان رضي الله عنه يؤكد من خلال هذه الإجراءات أن خلافته ليست أعلى وأسمى من منظومة الأعراف القبليّة للإمارة والمشيخة فحسب، بل إن مرتبته فوق مرتبة الصحابة أنفسهم، وأن سلطته التي منحه الله أيّاهاً باعتباره خليفة عنه هي أعلى من شرعيتهم التاريخية باعتبارهم أهل السابقة والقدم في الإسلام، وأئمة المسلمين، لكن إجراءاته هذه سوف تؤدي إلى خلق فجوة بين عثمان والصحابة الذين رفعوا لواء المعارضة ضد سياسته.

### تفضيل عثمان رضي الله عنه لأهل بيته في النولية

أدرك الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه لتحقيق مشروعه السياسي الرّامي لجعل مؤسسة الخلافة سلطة مستقلة بذاتها ومنفصلة عن أي اعتبارات قبليّة للمشيخة والرئاسة، ويهدف إبقاء جمهور القبائل تحت زعامة النخبة القرشية المكية، والأموية تحديداً، سوف يتخذ سلسلة من الإجراءات التي رفعت أفراداً من البيت الأموي إلى الواجهة السياسية للدولة، ففي سنة ٢٥هـ/٦٤٦م عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وعين مكانه الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط أخوه لأمه،<sup>(٣٧)</sup> وفي سنة ٢٧هـ/٦٤٨م عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر واستعمل عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح،<sup>(٣٨)</sup> وهو أخو عثمان من الرضاغة،<sup>(٣٩)</sup> وفي سنة ٢٩هـ/ ٦٥٠م عزل أبا موسى الأشعري عن ولاية البصرة واستعمل عليها عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان،<sup>(٤٠)</sup> وفي سنة ٣٠هـ/٦٥١م عزل عثمان الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة وعين مكانه سعيد بن العاص،<sup>(٤١)</sup> كما أنه جعل مروان بن الحكم كاتباً له.<sup>(٤٢)</sup>

اتخاذ عثمان رضي الله عنه أفراداً من عشيرته ولادة على الأقاليم، وجعلهم خاصة له دون بقية الصحابة، يؤكد على أنه لم يكن ينظر إلى السابقة في الإسلام كقاعدة وأساس للتولية، بل كان يعمل على تشكيل دائرة ثقة خاصة حوله مُكوّنة من أكفأ عناصر بني أمية، وجعلهم مستشارين له على حساب شخصيات صحابية كبيرة على غرار علي وطلحة والزبير... وغيرهم.<sup>(٤٣)</sup> لكن هؤلاء الولاة الذين عيّنهم كانوا ذوي خبرة معتبرة في شؤون الإدارة والحكم، كما أنه كان يستطيع أن يثق فيهم، ويستند إليهم في تحقيق الهدف النهائي لسياسته وهو تعزيز مركز "أمير المؤمنين" أمام القيادات القبليّة الأخرى خاصة في الأمصار المفتوحة.<sup>(٤٤)</sup> إن سياسة التولية العثمانية هذه لم تكن نتيجة لتعاطف عثمان مع بطانته وأهل بيته، بل كانت نتيجة لفناعة الخليفة أن تطبيق المواقف السياسية العامة التي يتبناها أمر لا يمكن له أن يتعقّد بالتعاون مع الشخصيات

تحت أيديهم، والتي تمثل مصدر نفوذهم وقوتهم، وبالتالي تراجع إيراداتهم، فشعروا أن مصالحهم مهددة، وأن هذا الإجراء يهدد وجودهم في هذه المناطق، كما فهموا من قول سعيد السابق أن الإدارة العثمانية تلغي - أو على الأقل تُقلِّل - دور القبائل في الفتوحات وحققها في غنائم السواد، وتجعل كل الفضل لقريش التي ولد الإسلام من رحمها، وبفضلها هدى الله هذه القبائل للإسلام، وأبناءها هم الذين قادوا حركة الفتوحات، وبالتالي لها الحق الكامل في الاستئثار بخيرات البلاد المفتوحة والاستمتاع بها. إن النظام الحاكم عندما مد يده إلى ما كان يعتبره القراء "أموالاً لهم" و"فيئاً أفاءه الله عليهم"، حينئذ فقط بدأ الاحتياج ضد حكم عثمان وولاته.

### معارضات الصحابة

تَمَثَّل إرث الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أمة هائلة مُطِيعَة، مُنْصَهَرَة ومُنْتَظَمَة في نظام قائم ومُسْتَبِث، لكن هذا الإرث يُؤكِّد بصورة آلية ظاهرة تَضَخُّم السلطة وتوسُّعها، وغالبًا انحرافها، وبما أن تجربة الإسلام الأولى لم تتمكن من إقامة رقابة ما، فإن الخليفة عثمان قد أفرط في استعمال السلطة لصالحه ولصالح عائلته، لكن وبقدرا ما كانت هناك رقابة ضمنية من جانب الصحابة وتراث معين، وسنة نبوية، وتشريع رباني يُسْتَنْدُ إليه، لم يكن في استطاعة الخليفة أن يذهب بعيداً في الاستئثار بالسلطة.<sup>(٥١)</sup> لذلك فإن أول نقد يوجه لسياسة عثمان كان من قِبَل الصحابة الذين رأوا في أنفسهم "ضمير هذه الأمة" والراعون لإرث النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته. تذكر الروايات التاريخية أنه منذ تولي عثمان الخلافة بدأت تلوح بوادر المعارضة والرفض لسياسته، إذ كره نفر من الصحابة ولايته لأنه "كان يحب قومه... وكان كثيراً ما يُؤلي من بني أمية من لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وسلم".<sup>(٥٢)</sup> فتفضيل عثمان لبني أمية على الصحابة، ورفعهم فوقهم - من ناحية الولاية على الأقل - قد أوجد حالة من الاستياء لدى الصحابة، خاصة القرشيين منهم، والذين يتخذون من قاعدة مفادها "أن الصُّحْبَة من حيث هي شرعية تاريخية كانت تتغلب على الصِّفَة القبلية القرشية".<sup>(٥٣)</sup>

كان أبو ذر الغفاري من أوائل من عارضوا سياسة التولية العثمانية، فكثيراً ما كان يُصرح مُنتَقِداً عثمان: "يستعمل الصبيان... ويُقَرَّب أولاد الطُّلُقَاء".<sup>(٥٤)</sup> إن أباذر - ومن ورائه الصحابة - كانوا يرون أنهم أحق بتولي أمور المسلمين من بني أمية، إنهم ينظرون إلى السابقة في الإسلام ويجعلونها أساس كل تفضيل، ويرون في تولية عثمان لأقاربه، والأحداث منهم، تهميشاً وإقصاءً لهم، وهم شيوخ المسلمين، وذوي الأستان، الذين حملوا هذا الدين على أكتافهم، ودافعوا عنه بسيفهم، وضُحُّوا من أجله بدمائهم وأموالهم، في الوقت الذي كان بنو أمية الطُّلُقَاء وأبناء الطُّلُقَاء يحاربونه، إنهم يرفضون أن يتولى أمور المسلمين مَنْ كان يحاربهم في السابق. ولم يكن أبا ذر هو الوحيد من الصحابة الذي واجه عثمان برفض سياسته في التولية، فقد قال له علي وطلحة والزبير

الذين عارضوا ولاية الوليد بن عقبة وكانوا السبب في عزله، ويبدو أن غاية سعيد بن العاص من تقرب هذه الجماعة هو تنظيم وتأطير تلك الجموع القبلية المهاجرة حديثاً إلى الكوفة، وأيضاً محاولة استمالة تلك العناصر إعتقاداً منه أنها الطريقة الوحيدة لمحاصرة الفوضى التي تتخبط فيها الكوفة، خاصة وأن تلك العناصر كانت هي الأكثر نفوذاً، والأكثر نشاطاً، لقد كان سعيد بن العاص يهدف إلى "تهدئة الخواطر"<sup>(٥٥)</sup> في الكوفة.

### أراضي الصوافي بين مشروعين: مشروع الخليفة ومشروع القراء

في سنة ٦٥١/هـ تم إتخاذ الخليفة عثمان بن عفان قراراً بالغ الأهمية والخطورة في نفس الوقت، الهدف الظاهري منه هو إعطاء من شهد عملية فتح العراق من مقاتلي القادسية وغيرهم، وعاد للاستقرار في الجزيرة حقهم من أراضي الصوافي، أما الهدف المُستتر وراء هذا القرار هو ترسيخ قدم المهاجرين والأنصار في الأقاليم المفتوحة، ورفع مكانتهم السياسية والمادية بعد أن غمرتهم جحافل الروادف القبلية البدوية، التي انتقلت إلى الكوفة واستقرت بها، كان هذا القرار هو عملية مبادلة الأراضي، حيث خطب عثمان في أهل المدينة قائلاً: "يا أهل المدينة، إن الناس يَتَمَحَّضُونَ بالفتنة، وإنني والله لأَتَلَخَّصَن لكم الذي لكم حتى أنقله إليكم إن رأيتم ذلك، فهل ترونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه، فيقيم معه في بلاده؟ فقام أولئك وقالوا: كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين؟ فقال: نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز".<sup>(٥٦)</sup> فتصورات العدالة العثمانية لم تكن ترضى أن يتساوى اللاحقون بالسابقين، والروادف بالطلانغ، والمهاجرون والأنصار بالأعراب والقبائل، لقد سعى عثمان إلى تعزيز الأرضية المادية للنخبة المدنية حتى تتمكن من المحافظة على مواقع الرئاسة في الأمة، خاصة في الأمصار المفتوحة.<sup>(٥٧)</sup> ولم يكتف عثمان في سبيل تحقيق هذه الغاية بقرار المبادلة فقط، بل أقطع جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أراضي من صوافي العراق وهم: الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص، عبد الله بن مسعود، أسامة بن زيد، وخباب بن الارت.<sup>(٥٨)</sup>

هذه خلاصة النظرة العثمانية لأراضي الصوافي في السواد، أما القراء الذين كانوا يسيطرون على إدارة أراضي الأرياف في العراق، وبالتحديد أراضي الصوافي الشاسعة،<sup>(٥٩)</sup> فإنهم كان لهم نظرتهم الخاصة لهذه الأراضي، التي كانوا يعتبرونها فيئاً أفاءه الله عليهم، على اعتبار أنهم الذين فتح الله عليهم هذه البلاد، إنها أملاك خاصة بهم ولا يحق لأي كان الادعاء بحقه فيها حتى لو كان الخليفة نفسه، لذلك كان رد فعلهم على قول سعيد بن العاص: "السواد بُسْتَان قريش"<sup>(٦٠)</sup> عنيفاً جداً، ردَّ مالك الأشتر النخعي قائلاً لسعيد: "أتزعّم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيفنا بستان لك ولقومك؟ والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيباً إلا أن يكون كأحدنا".<sup>(٦١)</sup> لقد أدرك الأشتر والقراء أن عملية المبادلة أدت إلى تقلص أراضي الصوافي التي



رأوا في سعي عثمان لفرض مشروعه السياسي، وترسيخ مراكز ومكانة النخبة القرشية المكية، سواء السياسية أو المالية، في الأمصار، تهديدا لمصالحهم، لقد أدرك قراء الكوفة أن هذا الترسخ السياسي والمالي لن يتم إلا على حساب نفوذهم، ومصالحهم الاقتصادية في العراق، لذلك أطلقوا عقيرتهم بالطعن على عثمان وولاته.

كانت سياسة التولية العثمانية محل معارضة ورفض من قبل هؤلاء القراء، ومن ورائهم قبائلهم، فقد كان الناس في الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص وتولية الوليد بن عقبة سنة ٢٥هـ/٦٤٦م يقولون: "بئسما ابتدئنا به عثمان، عزل أبا إسحاق الهيثم اللين الجبر، صاحب رسول الله ﷺ، وولى أخاه الفاسق الفاجر الأحمق الماجن"،<sup>(٦٣)</sup> غير أن حركة المعارضة لسياسة عثمان في تفضيله أهل بيته في التولية لم تلبث أن ازدادت حدتها بعد إدراك هؤلاء القراء لحقيقة المشروع السياسي للخليفة عثمان، فقد رفضوا عودة سعيد بن العاص لولاية الكوفة<sup>(٦٤)</sup> في يوم الجرة،<sup>(٦٥)</sup> وأهمية هذا الصدام تكمن في أنه شكل تحولاً نوعياً وخطيراً في المعارضة السياسية للخليفة عثمان، وتطورها إلى العمل العسكري المسلح. إن هذه القبائل برفضها عودة سعيد بن العاص لولايته تعلن العصيان، وترفض الانصياع لأوامر الخليفة، أي أنها تتحدى سلطة الخليفة الذي يحكم بتفويض من الله، وتعلن أن اختيار الوالي يكون من قبلها هي وليس من قبل الخليفة، إنهم يعارضون السلطة المركزية القرشية، ورفض للتغلغل الأموي في شؤون الحكم، وسيطرتهم على الولايات، فقد كتب الأشتر النخعي إلى الخليفة قائلاً: "...وأما محبتنا فأن تنزع وتتوب وتستغفر الله من...توليكت الأحداث علينا، وأن تولي مصرنا عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري وحذيفة فقد رضيتهما، واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك إليه الهوى من أهل بيتك".<sup>(٦٦)</sup>

كما كانت التدابير المالية - خاصة عملية مبادلة الأراضي- للخليفة عثمان بن عفان ﷺ محل معارضة شديدة من قبل قبائل الكوفة التي أدركت أن هذا الإجراء يهدد نفوذها ووجودها في العراق، ويتضح من رواية للطبري وجود فئة عارضت هذه العملية منذ البداية، حيث يقول: "اشترى هذا الضرب رجال من كل قبيلة مما كان له هنالك شيء، فأراد أن يستبدل به فيما يليه، فأخذوا وجازلهم عن تراض منهم ومن الناس وإقرار بالحقوق، إلا أن الذين لا سابقة لهم ولا قدمة ولا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقدمة في المجالس والرياسة والحظوة، ثم كانوا يعيبون التفضيل، ويجعلونه جفوة، وهم في ذلك يختفون به ولا يكادون يظهرونه، لأنه لا حجة لهم والناس عليهم، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو أعرابي أو مُحَرَّر استحلّ كلامهم، فكانوا في زيادة، وكان الناس في نقصان حتى غلب الشر".<sup>(٦٧)</sup> لقد أدت عملية المبادلة إلى ظهور فئة من الناس من كبار ملاك الأراضي في العراق على غرار طلحة بن عبيد الله، وغيره من أهل السابقة والقدمة في الاسلام، ويبدو أن هذا الأمر

بعد أن عزل أبا عزرل أبا موسى الأشعري عن البصرة وولّاهما عبد الله بن عامر بن كُرْز سنة ٢٩هـ/٦٥٠م: "ألم يوصك عمر ألا تحمل آل أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس؟"،<sup>(٥٥)</sup> بل إن علي بن أبي طالب ﷺ سوف يُخَلِّ ولاية عثمان مسؤولية ثورة القبائل على عثمان، ويُبدي امتعاضه من سياسته في تفضيل أهل بيته عليه، والأخذ برأيهم واستشارتهم دونه، حيث يقول لعثمان لما طلب منه رد الثوار عنه: "إني قد كنت كَلَمْتُكَ مرة، فكل ذلك نخرج فَنُكَلِّمُ، ونقول وتقول، وذلك كله فِعَل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وابن عامر ومعاوية، أطعتم وعصيتي".<sup>(٥٦)</sup>

كما أن سياسة عثمان المالية وتخصيصه أهل بيته بالهبات والمنح، كانت محل نقد من قبل الصحابة، الذين رأوا فيها تعدياً على أموال المسلمين، عارضوه بقولهم: "قد وُلِّي هذا الأمر قبلك خليفتان فمنعنا هذا المال أنفسهما وأهلئهما"،<sup>(٥٧)</sup> لكن عثمان علل ذلك بقوله: "إنما منعا ذلك احتساباً، ووَصَلْتُ به احتساباً"،<sup>(٥٨)</sup> أي أنه إذا كان أبا بكر وعمر قد اجتهدا واحتسبا الأجر في منع نفسيهما وأهلئهما أموال الفيء - وكان لهما حق التصرف فيها-، فإن تصرفه في هذه الأموال وإنفاقه على أهل بيته وأقاربه منها كان اجتهداً منه باعتباره إماماً، ومن حقه التصرف في أموال الفيء، كما أنه أوَّل ذلك بالصَّلَة التي أمر الله بها.<sup>(٥٩)</sup> أي أن الاختلاف هنا هو في التأويل، فالمعارضة لديها تأويلها الخاص لكيفية تصرف الخليفة في أموال الفيء، التي هي في النهاية "أموال للمسلمين"،<sup>(٦٠)</sup> أما الخليفة عثمان فلديه تأويله الخاص الذي يجعل من أموال الفيء "مالاً لله"، وبما أنه خليفة لله، فإن له الحق في إعطائه لمن يشاء ومنعه عَمَّن يشاء، فقد رد على مُنْتَقِديه قائلاً: "هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فَأَرْغَمَ الله أنف من رَغِمَ".<sup>(٦١)</sup>

الخليفة يرى أن المسلمين قد أخذوا حقوقهم، والخُمس المحمول إلى بيت المال للإمام حق التصرف فيه، وليس لهم حق التدخل في شؤون الحكم. هذه إذن نظرة الطرفين لمسألة المال وكلاهما يجد المرجعية الفكرية لتأويله في القرآن والسنة النبوية وطريقة الخليفين أبي بكر وعمر. لقد كانت نظرة الإدارة العثمانية إلى أموال الفيء أنها مال الله محل معارضة شديدة من قبل الصحابي الكبير أبي ذر الغفاري، فقد قال مخاطباً معاوية بن أبي سفيان والي الشام: "ما يدعوك لأن تسمي مال المسلمين مال الله؟ قال: يرحمك الله يا أباذر، ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره، قال: فلا تقله..."<sup>(٦٢)</sup>

## قراء الكوفة ورفض السيطرة السياسية والاقتصادية لقرش

إن جوهر المشروع السياسي للخليفة عثمان بن عفان هو رفع مؤسسة الخلافة وجعلها مؤسسة مستقلة بذاتها، وتعزيز سلطته كأمر للمؤمنين، وخليفة لله في أرضه وعلى عبادته، وفرضها على كافة المسلمين، إنه يرفض أن يقتصر دور الخليفة على تركية قرارات الرؤساء القبليين في الأمصار المفتوحة، لكن هؤلاء الرؤساء القبليين

للدولة الإسلام، فيقول: "وكان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الأمصار - الكوفة والبصرة ومصر - جفاة لم يستكثروا من صحبة الرسول ﷺ، ولا هذبهم سيرته وأدابه، ولا ارتاضوا بخلقه، مع ما كان فهم في الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينة الإيمان. وإذا بهم بعد استفحال الدولة قد أصبحوا في ملكة المهاجرين والأنصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب، السابقين الأولين إلى الإيمان، فاستنكفوا من ذلك وغصوا به، لما يرون لأنفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم، ومصادمة فارس والروم... فصاروا إلى الغض من قريش والأنفة عليهم، والتمريض في طاعتهم، والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداد عليهم، والطعن فيهم بالعجز عن السوية، والعدل في القسم عن السوية، وفشت القالة بذلك".<sup>(٧٤)</sup>

إذن حسب ابن خلدون فإن العرب الذين لم يشهدوا مأثرة الرسول والرسالة والوحي، ولم يكن لهم قدم ولا سابقة في الإسلام، ولم يتأدبوا بأدابه، ونتيجة لتأخر إسلامهم وارتداد بعضهم بعد وفاة النبي ﷺ، فإنهم وجدوا أنفسهم تحت حكم قريش قبيلة النبي، والتي قادت حروب الردة، وحركة الفتوحات الأولى في عهد أبي بكر وعمر، لكن إسلام هذه القبائل، ومشاركتها في الفتوحات الكبرى، ودورها الفعال في القضاء على إمبراطورية فارس، واستخلاص بلاد الشام من الإمبراطورية البيزنطية، كل هذا جعلها تشعر بسداد دينها تجاه قريش، لقد أصبحت معادلة لها من وجهة نظرها، لذلك استنكفوا استثنائاً قريش بحكم دولة الإسلام، وبدأوا يطالبون بالنسوية الكاملة مع قريش.

لقد رأى القراء في سياسة الخليفة عثمان ؓ "بدعة محدثة"، حيث خطب الأشتر النخعي في أهل الكوفة قائلاً: "إن عثمان قد غير وبدل"،<sup>(٧٥)</sup> ثم كتب إليه كتاباً جاء فيه: "من مالك بن الحارث إلى الخليفة الخاطى الحائد عن سنة نبيه، النابذ لحكم القرآن وراء ظهره".<sup>(٧٦)</sup> فالخليفة عثمان من وجهة نظر القراء لم يكتف بالتغيير والتبديل، بل إنه أخطأ في تأويلاته واجتهاداته وسياسته، وحاد عن سنة الرسول ﷺ، ونبذ حكم القرآن وخالفه، فالقرآن والسنة النبوية وطريقة الخليفين أبي بكر وعمر هي المرجعيات التي استند إليها القراء في الحكم على عثمان بالابتداع والخطأ، وبما أنه قد أحدث ما لا يجوز فإنه يجب تغييره ولو بالقوة.

## خاتمة

لقد نتج عن سعي الخليفة عثمان بن عفان ؓ لفرض مشروعه السياسي الرامي لجعل مؤسسة الخلافة مؤسسة سلطوية مستقلة بذاتها، مؤسسة أعلى وأسمى من الشرعية التاريخية للصحابة، ومن الاعتبارات القبلية للمشايخ والرئاسة، إلى اصطدامه بمعارضة شديدة من قبل هؤلاء - الصحابة والقبائل - الذين رأوا في سياسته هذه تغييراً وتديلاً لسنة قوية وضعها الرسول ﷺ وخليفته أبو بكر وعمر. إن الصحابة في معارضتهم لسياسة عثمان كانوا ينطلقون من فكرة مؤداها أنهم يمثلون "ضمير هذه الأمة"، و"الرأعون لإرث النبي

أزعج فئة من الناس أقل شأنًا ومكانة من الذين لا سابقة لهم في الإسلام، كما رفضوا مبدأ التفضيل القائم على قاعدة "إنزال الناس منازلهم"، حيث رأوا فيه امتهاً واحتقاراً لهم، لكنهم لم يظهروا هذه المعارضة والرفض إلا للروادف واللواحق والأعراب، والوافدين الجدد إلى الكوفة، لذلك أخذت أعداد الرافضين لهذه السياسة تزداد نتيجة لتزايد أعداد المهاجرين إلى الكوفة والتي غطت على أهل السابقة والقدمية فيها، لكن السؤال المطروح: هل كانت هذه الفئة الرافضة هي نفسها فئة القراء الذين ثاروا ضد سعيد بن العاص والخليفة؟

إن ما فجر حركة المعارضة في الكوفة هو قول سعيد بن العاص: "إنما السواد بستان لقريش"، إنه ينتفي دور القبائل في عمليات الفتوح، ويرجع كل الفضل لقريش، وبالتالي لها الحق الكامل في التصرف في البلاد المفتوحة، فالنظرة إلى هذه الأراضي إذن، كانت مختلفة بين الإدارة والقبائل، فالإدارة تعتبر الفيء حقا لبيت المال تتصرف فيه وفق ما تراه مناسباً، أما المقاتلين فإنهم يرون في الفيء حقاً أصيلاً لهم لا يجوز التصرف فيه دون رغبتهم،<sup>(٧٨)</sup> لذلك رد الأشتر النخعي على قول سعيد السابق: "أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك؟"، وهذا الأمر هو الذي فهمه معاوية بن أبي سفيان حين حاور قراء الكوفة المبعدين إلى الشام، حيث كتب إلى الخليفة عنهم قائلاً: "إنما همُّهم الفتنة وأموال أهل الذمة".<sup>(٧٩)</sup>

لم يقتصر رفض القراء على عملية مبادلة الأراضي فحسب، بل أعلنوا أيضاً معارضتهم لنظام العطاء القائم، فقد كان من مطالب الثوار المحاصرين لدار عثمان: "...نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاءً، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من صحابة رسول الله ﷺ".<sup>(٨٠)</sup> إنهم يعارضون هذا النظام الذي يمنح أموالاً لأهل المدينة دون أن يقاتلوا عليها، ويجعلون هذا المال من حق من قاتل عليه فقط، وصحابة رسول الله ﷺ باعتبارهم أئمة المسلمين، وأهل السابقة والبلاء والفضل في الإسلام، إنهم يرون أن الكثير من المال الذي قاتلوا هم عليه يتدفق على المدينة، ليزرع على أهلها الذين لم يشاركوا في الفتوح، وهذا ما يرفضونه.

إن "الكلمة المفتاح"<sup>(٨١)</sup> التي وردت في حوار سعيد بن العاص وقراء الكوفة، والتي فجرت حركة المعارضة ضد الخليفة وولاته هي، "قريش"، التي استفردت بحكم دولة الإسلام، إذ ومنذ عهد أبي بكر أصبحت العلاقة بين "قريش" و"العرب" علاقة غالب بمغلوب، وهي العلاقة التي أملت حروب الردة، وجعلت العرب المرتدين في حكم المهزيمين في حرب كان المنتصر فيها قريش، فالحكم والرئاسة كان لقريش، وكبار رجال الدولة وعمال النواحي وأمرأ الجيوش كانوا كلهم من قريش، ومن لم يكن قرشياً فهو يلتقي معها في مضر أو من حلفائها.<sup>(٨٢)</sup>

في سياق تحليله لحوادث الفتنة يشير ابن خلدون إلى طبيعة العرب الذين استقروا في الأمصار المفتوحة، ونظرتهم لحكم قريش

## الهوامش:

- (١) البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق، سهيل زكار، رياض زركلي، دارالفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦، ٣٨٦/١٠.
- (٢) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ العقوبي، تحقيق، م أوتسما، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٣، ١٨١/٢.
- (٣) زهيرهاري: السلطة والمعارضة في الإسلام بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية ١١-١٣هـ / ٦١٢ \_ ٧٥٠م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣، ١٦٩.
- (٤) أيمن إبراهيم: الإسلام والسلطان والملك دراسة تاريخية في العلاقة بين ظهور الإسلام وتأسيس الدولة العربية الإسلامية الأولى في مرحلة صدر الإسلام ١-٦٠هـ/٦٢٢-٦٨٠م، دارالحصاد، دمشق، ط ١، ١٩٩٨، ٢٣٠.
- (٥) ابن سعد محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م): كتاب الطبقات الكبير، تح، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١، ٦٠/٣.
- (٦) اليعقوبي: مصدر سابق، ١٨٤/٢.
- (٧) أيمن إبراهيم: مرجع سابق، ٢٤٤.
- (٨) البلاذري: مصدر سابق، ١٣٦/٦.
- (٩) اليعقوبي: مصدر سابق، ١٩٤/٢، ١٩٥.
- (١٠) البلاذري: مصدر سابق، ١٣٧/٦.
- (١١) المصدر نفسه والصفحة.
- (١٢) نفسه، ٢٠٩/٦.
- (١٣) نفسه، ١٨٢/٦.
- (١٤) نفسه: ١٣٣/٦. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (دت)، ٣٧٧/٤.
- (١٥) البلاذري: مصدر سابق، ١٤٠/٦. ثمة رواية أخرى للبلاذري حول ابن الأرقم خازن بيت المال الذي رفض دفع مال لرجال أمره عثمان بدفعه لهم، فقال له عثمان: "إنما أنت خازن لنا، فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازنا للمسلمين، وإنما خازنك غلامك، والله لا ألي لك بيت المال أبدا، وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر". نفسه، ١٧٣/٦.
- (١٦) الطبري: مصدر سابق، ٣٩٥/٤.
- (١٧) نفسه، ٣٧٧/٤.
- (١٨) نفسه، ٣٧٦/٤، ٣٧٧.
- (١٩) يُعَلَّل إبراهيم بيضون هذا التوجه السلطوي العثماني، في أن الخلافة في مفهوم عثمان تعني ملكا منحه الله أياه، وكان يغذي هذه النزعة لديه، الشعور السائد في أسرته الأموية، بأنها استعادت ملكا مفقودا وحقا قديما في السلطة والنفوذ. أنظر: إبراهيم بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩، ١١٠. وفي هذا المعنى يورد المسعودي رواية تقول أنه بعد مبايعة عثمان بالخلافة دخل بنو أمية على أبي سفيان وقد عي فقال لهم: "...أفيكم أحد من غيركم؟... قالوا: لا، قال: يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم ورائه". المسعودي: مصدر سابق، ٣٥١/٢، ٣٥٢.
- (٢٠) محمد عبد الحي شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية (٦٠٠-٧٥٠م)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ٧٥، ٧٦.
- (٢١) أيمن إبراهيم: مرجع سابق، ٢٤٣.
- (٢٢) نفسه، ٢٤٠.
- (٢٣) الطبري: مصدر سابق، ٣٣٥/٤.
- (٢٤) البلاذري: مصدر سابق، ١٦٧/٦.
- (٢٥) نفسه، ١٦١/٦، ١٦٢.

وخليفته"، لذلك واجهوا عملية التغيير التي حاول عثمان تحقيقها، والتي رأوا فيها بدعة يجب وضع حد لها.

أما القراء - ومن ورائهم القبائل- فإن معارضتهم لسياسة عثمان لم تبدأ فعليا إلا بعدما رأوا فيها تهديدا لمصالحهم، ومحاولة لفرض سيطرة "قريش بني أمية" على حكم دولة الإسلام، أي محاولة أموية للاستحواذ على "مال المسلمين وقِيَّهم"، بعدما فرضوا سيطرتهم على "الولاية والسياسة" في الدولة، إذن فمعارضتهم هي أيضا رفض للنفوذ المتزايد للأسرة الأموية في دولة عثمان، والتي كانوا يرون فيها نزوعا نحو "الملكية"، وتعارض مع القرآن والسنة النبوية وطريقة الخليفين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٤٧) الصولي أبو بكر محمد بن يحيى: أدب الكتاب، تج، محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٢، ٢١٢. وانظر: غيداء خزنة كاتي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري الممارسات والنظرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ٢٩٩.

(٤٨) شعبان: مرجع سابق، ٧٧.

(٤٩) الطبري: مصدر سابق، ٣٢٣/٤.

(٥٠) المصدر نفسه والصفحة.

(٥١) جعيط: مرجع سابق، ١٢٠.

(٥٢) البلاذري: مصدر سابق، ١٣٩، ١٣٤/٦، ١٦٠.

(٥٣) جعيط: مرجع سابق، ٩٢، ٩١.

(٥٤) البلاذري: مصدر سابق، ١٦٧/٦.

(٥٥) نفسه، ١٣٩/٦. تذكر رواية أن عمر بن الخطاب لما طعن وعين عثمان في أهل الشورى استدعاه وقال له: "يا عثمان، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك، فإن وليت هذا الأمر فائق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس". البلاذري: ١٢٠/٦. من جانبه يورد الطبري رواية توضح ميل عثمان لبني عشيرته وتفضيلهم على غيرهم وذلك في قصة عزل أبي موسى الأشعري عن ولاية البصرة. قال غيلان بن خرسة للخليفة عثمان رضي الله عنه: "أما منكم خسيس فترفعوه؟ أما منكم فقير فتجبروه؟ يا معشر قريش، حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري البلاد؟ فانتبه لها الشيخ - يعني عثمان - فولاهما عبد الله بن عامر". الطبري: مصدر سابق، ٢٦٦/٤.

(٥٦) نفسه، ٣٥٨/٤.

(٥٧) نفسه، ٢٠٨/٦.

(٥٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٥٩) ابن سعد: مصدر سابق، ٦٠/٣. البلاذري: مصدر سابق، ١٣٣/٦.

(٦٠) الطبري: مصدر سابق، ٢٨٣/٤.

(٦١) البلاذري: مصدر سابق، ٢٠٩/٦.

(٦٢) الطبري: مصدر سابق، ٢٨٣/٤.

(٦٣) البلاذري: مصدر سابق، ١٣٩/٦.

(٦٤) استغل القراء ذهاب سعيد إلى المدينة بعد استدعائه من قبل الخليفة عثمان للتشاور في أمر الإشاعات المنتشرة حول ولاته، وقاموا بحركتهم.

(٦٥) البلاذري: مصدر سابق، ١٥٨/٦.

(٦٦) نفسه، ١٥٩/٦.

(٦٧) الطبري: مصدر سابق، ٢٨١/٤.

(٦٨) كاتي: مرجع سابق، ٣٠٤.

(٦٩) البلاذري: مصدر سابق، ١٥٢/٦.

(٧٠) الطبري: مصدر سابق، ٣٢١/٤.

(٧١) نفسه، ٣٥٥/٤.

(٧٢) جعيط: مرجع سابق، ٨٨.

(٧٣) محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي محدثاته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ١٥٨.

(٧٤) ابن خلدون: مصدر سابق، ١٦٩.

(٧٥) البلاذري: مصدر سابق، ١٥٧/٦.

(٧٦) نفسه، ١٥٩/٦.

(٢٦) نفسه، ١٦٩/٦. لما عزم عثمان على نفي عمار بن ياسر قال له علي: "يا عثمان، اتق الله فإنك سيرت رجلا صالحا من المسلمين فهلك في تسييرك - يعني أباذر - ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره... قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه... واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ، فكف عن عمار". نفس المصدر والصفحة.

(٢٧) نفسه، ١٣٨/٦. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ١٢٣٣هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق، أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧، ٤٧٦/٢، ٤٧٧. يذكر المسعودي أن الوليد بن عقبة ممن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار. أنظر: المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تج، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٣، ٣٤٣/٢، ٣٤٤.

(٢٨) ابن الأثير: مصدر سابق، ٤٨٢/٢. كان عبد الله بن سعد يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: أنا أت ي بمثل ما أتى به محمد، وفيه نزلت الآية: "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثملا أنزل الله" (الأنعام ٩٣). وكان ممن أهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمه، ثم أئنه بعد إلحاح من قبل عثمان بن عفان. أنظر: البلاذري: مصدر سابق، ١٩/١١، ٢٠.

(٢٩) نفسه، ١٩/١١.

(٣٠) ابن الأثير: مصدر سابق، ٤٩١/٢.

(٣١) نفسه، ٤، ٣/٣.

(٣٢) ابن خياط أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تج، مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥، ١٠٦.

(٣٣) الطبري: مصدر سابق، ٣٣٣/٤. لما أرسل عثمان بن عفان إلى ولاته - وهم معاوية بن أبي سفيان، سعيد بن العاص، عبد الله بن سعد بن أبي سرح، عبد الله بن عامر - يشاورهم قال لهم: إن لكل امرئ وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحايتي وأهل ثقتي... لاحظ أنه اجتمع بولاته للأخذ برأيهم دون رأي الصحابة الذين لم يستدعهم للإجتماع. نفس المصدر والصفحة.

(٣٤) شعبان: مرجع سابق، ٧٦، ٧٧.

(٣٥) أيمن إبراهيم: مرجع سابق، ٢٣٨.

(٣٦) المسعودي: مصدر سابق، ٣٤٦/٢.

(٣٧) الطبري: مصدر سابق، ٢٧٩/٤.

(٣٨) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٨، ٢٠٠٣، ١٦٩.

(٣٩) هشام جعيط: الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ترجمة، خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٠، ٨٢.

(٤٠) المرجع نفسه والصفحة.

(٤١) الطبري: مصدر سابق، ٢٧٩/٤.

(٤٢) نفسه، ٣١٧/٤، ٣١٨. أنظر: البلاذري: مصدر سابق، ١٥١/٦. ابن الأثير: مصدر سابق، ٣١، ٣٠/٣.

(٤٣) البلاذري: مصدر سابق، ١٥١/٦. من بين هؤلاء نذكر: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، زيد وصعصعة ابنا صوحان العبدان، حرقوص بن زهير السعدي، جندب بن زهير الأزد، شريح بن أوفى بن يزيد بن زاهر العبسي، كعب بن عبيدة الهدي، كدام بن حضرمي بن عامر، مالك بن حبيب من بني ثعلبة... وغيرهم. نفسه، ١٥١/٦، ١٥٢، ١٥٣.

(٤٤) جعيط: مرجع سابق، ٨٢.

(٤٥) الطبري: مصدر سابق، ٢٨٠/٤.

(٤٦) أيمن إبراهيم: مرجع سابق، ٢٤٩.